مجلة وراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 02 العدد 13 بتاريخ 2019/07/25م

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

الأنثروبولوجيا الصحية

الدكتورة سميرة بن صافي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر

anthropostlemcen13@gmail.com

تاريخ الإيداع2019/05/26م تاريخ التحكيم.2019/06/30م تاريخ القبول 2019/07/06م

الملخص:

تعتبر الأنثروبولوجية الصحية دراسة كلية مقارنة للثقافة ومدى تأثيرها على المرض والرعاية الصحية، وقد تزايد الاهتمام بهذا العلم نظرا لتزايد الوعي بدور الثقافة في القضايا الصحية مثل تطور المرض وتوزيعه الجغرافي والوسائل والأساليب التي تعتمد عليها المجتمعات في مواجهته، والطرق المثلى لتحسين الطب الحديث، وتطويره في المجتمعات التقليدية، وعليه نحاول من خلال هذا المقال التعريف بهذا الحقل العلمي معرجين على أهم مفاهيمه، ومجالات اهتمامه، وكذا مناهجه البحثية.

الكلمات المفتاحية: انثروبولوجيا الصحة، الثقافة، الصحة، المرض.

Health Anthropology

Dr.Samira Bensafi

University kasdi merbah ouargla, Algeria

anthropostlemcen13@gmail.com

Abstract :

The anthropology of health is seen as a comparative study of culture and its impact on diseases and health care, which is gaining increasing interest as a result of the growing awareness of its role in health care. health issues such as disease development, geographical distribution, methods used by societies and the best ways to improve and develop modern medicine. We therefore attempt, through this article, to introduce this scientific field by citing the most important concepts, areas of interest and research methods.

Keywords: Anthropology of Health, Culture, Health, Disease.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

1- تمهيد:

ظهرت الأنثروبولوجية الصحية كأحد أهم المجالات الحيوية للبحوث النظرية والتطبيقية في الدراسات الأنثروبولوجية، حيث اجتذبت العديد من الموضوعات المتعلقة بالحياة والموت كدراسة الصحة والمرض عبر الزمان والمكان وتراوحت من وقائع وأحداث مرض معين إلى بناء الجسم الإنساني وأمراضه إلى مقارنات للنظم الطبية المتنوعة داخل الثقافات إلى الخبرات النفسية والجسمية للمعاناة البشرية، فالأنثروبولوجيا الصحية هي الطريقة أو الأسلوب الذي يفسر به الناس الموجودين في جماعات اجتماعية وثقافية مختلفة أسباب المرض وأنواع المداواة وأنماط العلاج التي يعتقدون فيها ومن هم المعالجون الذين سيلجئون إليهم، كما تعني أيضا بدراسة كيف ترتبط هذه المعتقدات والممارسات بالتغيرات البيولوجية في الكائنات البشرية في حالتي الصحة والمرض. تزايد الاهتمام بالأنثروبولوجية الصحية بتزايد الوعي بدور الثقافة في قضايا الصحة، فقد أشار الأنثروبولوجيين الذين درسوا الهدف الاجتماعي- الثقافي لهذا الجانب إلى أنّ المعتقدات والممارسات المتعلقة بالصحة والمرض في كل المجتمعات تعد ملمحا رئيسيا لثقافة هذه المجتمعات وغالبا ما ترتبط بمعتقدات تتصل بمصدر وسبب سلسلة كبيرة من الحوادث السيئة التي تشتمل على المصائب والصراعات الشخصية بين الأفراد، والكوارث الطبيعية، وتلف المحاصيل أو سرقتها أو فقدها والتي يعتبر المرض هو الشكل الوحيد لها، وقد يلقى بمسئولية كل هذه المصائب في بعض المجتمعات على القوى فوق الطبيعية أو العقاب الإلهي أو على أحقاد السحرة والمشعوذين، كما تعد القيم والعادات المرتبطة بالمرض جزءا من ثقافة أوسع ولا يمكن دراستها في الواقع بمعزل عن هذه الثقافة، كما لا يمكن فهم الطريقة التي يتفاعل بها الناس مع المرض أو الموت أو أشكال المصائب الأخرى دون أن يفهموا نمط الثقافة التي نشئوا فيها أو الثقافة التي اكتسبوها بمعنى أنها عدسة العين التي يدركون ويفسرون العالم بواسطتها.(نجلاء عاطف خليل، 2006، ص 138)

2- لمحة تاريخية حول الأنثروبولوجيا الصحية:

يرجع تاريخ الأنثروبولوجية الصحية كمجال فرعي من الدراسات الأنثروبولوجية إلى خمسينات القرن الماضي وذلك على الرغم من أن تاريخ العلاقة التبادلية بين الطب والأنثروبولجيا يرجع إلى القرن التاسع عشر من خلال الإرهاصات الأولى للعالم الأنثروبولوجي فيرشوVirchow المعروف باهتماماته في مجال الطب

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

الاجتماعي، مع أن رؤيته النظرية المميزة لم تبلغ مكانتها داخل النظرية الأنثروبولوجية- الطبية إلا في بداية السبعينات في القرن الماضي؛ وقد كانت الأعمال المبكرة جدّا والتي يمكن اعتبارها بحوثا طبية أنثروبولوجية من تأليف كتاب كانوا يركزون في الواقع على شيء آخر، وحينما تعرضوا لوصف الثقافات التقليدية التي قابلتهم أعطوا بعض الاهتمام لنظم العلاج (نجلاء عاطف خليل، 2006، ص 140). مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وخاصة حينما أسهمت في دراسة المشكلات الطبية وتمثل دراسة كاوديل Caudill سنة 1953 عن الأنثروبولوجيا التطبيقية في مجال الطب، نقطة البداية في هذا الازدهار، إلاّ أنّ هناك محاولات سبقت كاوديل، تناولت وصف المفاهيم الاتيولوجية والمعتقدات المرتبطة بالصحة والمرض، والممارسات الطبية في المجتمعات البسيطة، وشكلت محاور أساسية في الدراسات الاثنوغرافية ومنها دراسة ايفانز بريتشارد Pritchard سنة 1937 وجيلين Gillin عام 1948 وريفرز Rivers سنة 1924 وكليمنتس Clements سنة 1932 (علي محمد المكاوي، 2007، ص215).

3- تعريفات الأنثروبولوجية الصحية:

عرّفت الانثروبولوجيا الصحية من قبل عدد من الباحثين والتعريفات الآتية هي الأكثر شيوعا واستخداما:

تعريف فوستر وأندرسون Foster and Anderson الأنثروبولوجيا الصحية هي فرع بيوثقافي يهتم بالجانبين البيولوجي الثقافي من السلوك البشري، وبالطرق التي يتفاعل بها هذان الجانبان والتي تفاعلا بها خلال التاريخ الإنساني للتأثير في الصحة والمرض (George Foster، 1997، ص 8).

وعرفها ليبيان Leiban أنها تتضمن دراسة الظواهر الطبية في تأثرها بالجوانب الاجتماعية والثقافية، وكذلك الظواهر الاجتماعية والثقافية في تأثرها بالجوانب الطبية (Richard W.Leiban، 1977)

أمّا لاندي Landy فقد ذهب إلى أنّها دراسة المواجهات البشرية مع المرض والإعياء والترتيبات التكيفية (الأدوية والنظم الطبية) التي تصنعها الجماعات البشرية للتعامل مع هذه الأخطار الدائمة والتي تصيب البشر (Ethel Nurge، 1977، ص 138).

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

كما عرفها هيلمان Helman أنها تهتم بكيفية تفسير الناس في مختلف الثقافات والجماعات الاجتماعية لأسباب المرض، وأنواع العلاجات التي يعتقدون فيها، وإلى من يرجعون إذا مرضوا، وهي تدرس كيفية ارتباط هذه المعتقدات والممارسات بالتغيرات البيولوجية والفسيولوجية التي تحدث في الكائن البشري في حالة الصحة والمرض (مصطفى عوض إبراهيم، هندومة محمد أنور، 2008، ص 14)

من خلال التعريفات السابقة يتضح أنه لا يوجد تعريف واحد يحظى بالقبول العام لدى علماء الأنثروبولوجيا الصحية ولكن هناك خيط واحد يربط بين كل تلك التعريفات وهو أنّ الأنثروبولوجيا الصحية تهتم بالتحليل الاجتماعي والثقافي والبيولوجي لظواهر الصحة والمرض والطرق التي تتبعها مختلف الشعوب للتعامل مع هذه الظواهر؛ وقد أشار علماء الأنثروبولوجيا الذين يدرسون الجوانب السوسيوثقافية لهذه الظواهر إلى المعتقدات والممارسات المرتبطة بالمرض تعدّ سمة أساسية لأيّة ثقافة إنسانية، وأنّ القيم والأعراف المرتبطة بالمرض تعدّ جزءا لا يتجزأ من الثقافة الأوسع، ولا يمكن دراستها بمعزل عنها، فالباحث لا يستطيع أن يفهم كيف يتفاعل الناس مع المرض، أو غيره من المصائب دون أن يفهم نمط الثقافة التي نشئوا فيها أو اكتسبوها، وهذه الثقافة تمثل العدسة التي من خلالها يرون عالمهم ويفسرونه.

بالإضافة إلى دراسة الثقافة فمن الضروري أيضا بحث التنظيم الاجتماعي للصحة والمرض في هذا المجتمع أي نظام الرعاية الصحية، وهو يشمل الطرق التي بواسطتها يتم الاعتراف بالناس كمرضى، والوسائل التي يظهرون بها مرضهم للناس الآخرين، وخصائص أولئك الذين يظهرون مرضهم، والطرق التي يتم التعامل بها مع المرض (مصطفى عوض إبراهيم، هندومة محمد أنور، 2008، ص14).

4- مجالات الأنثروبولوجيا الصحية:

تعرف مجالات البحث في الأنثروبولوجيا الصحية نفس مشكلة التعريف حيث نلاحظ هنا أيضا عدم وجود اتفاق بين العلماء، فهناك عدد من الاقتراحات لهذه المجالات فقد اقترح ليبان وجود أربعة مجالات رئيسية هي كالآتي:

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

أولا- الايكولوجيا وعلم الأوبئة: تظهر الأهمية الفائقة للعوامل الثقافية ومغزاها، حينما ندرس الجوانب الطبية لتكيف الجماعات البشرية مع بيئاتها أو سوء تكيفها، إن حدود المرض والاختلافات الثقافية، وعلاقة الإنسان بالبيئة لها دور كبير في وجود أو عدم وجود المرض، (علي محمد المكاوي، 2005، ص41)، ولعل تأثير الثقافة على المرض في الأنساق الايكولوجية تتجلى في الكثير من مظاهر السلوك التي توجهه الثقافة السائدة. فالمدخل الايكولوجي يهتم بالنظرة الشاملة للعلاقات المتبادلة بين الكائنات الحية وبين بيئتها وهذا ما دفع علمي الطب والصحة العامة للاهتمام بتعدد الأسباب وكذلك يهتم هذا المدخل اهتماما خاصا بالآثار المتعددة للأفعال الإنسانية، التي تغير العلاقة بين الناس وبين بيئتهم وبالنتائج الطبية المصاحبة وتلك قضية جوهرية في المجتمعات الصناعية، التي أدخلت العديد من التعديلات على البيئة بشكل يهدد الصحة ذاتها وكذلك يلعب هذا المدخل دوره في تقييم القيمة الكلية لمشروعات النمو الاقتصادي في المجتمعات النامية (علي محمد المكاوي، 2007، ص 218).

ثانيا- الطب الشعبي: الممارسات الطبية الشعبية ويدخل فيها تصنيف مختلف الأمراض وطرق العلاج التقليدية وطرق الوقاية التقليدية.

ثالثا- الجوانب الطبية للأنساق الاجتماعية: إن المرض ينظر إليه على أنه عقوبة اجتماعية أساسية في كثير من الثقافات، وكثير من الناس يفهمونه على انه عقوبة (فوق طبيعية) للشر، وعلى ذلك، فصحة المجموعة السكانية هي اختبار مهم للكفاءة التي يعمل بها المجتمع.

رابعا- الطب والتغير الثقافي: إن انتشار الطب الحديث ووفرته يعد أحد التغيرات الرئيسية التي حدثت في أغلب بلدان العالم، ومع ذلك نلاحظ وجود تعددية طبية في كل المجتمعات، وعلى ذلك يعد الطب الحديث اختيارا آخر يمكن إضافته للمصادر العلاجية الأخرى، ومن المعروف أنّ الصحة تتأثر كثيرا بالتفاوت الاجتماعي، وتطبيق المعارف الطبية في منع المرض وعلاجه تحدده بالضرورة عوامل اقتصادية واجتماعية أخرى.

وفي تصنيف فوستر وأندرسون فقد اقترحا أنّ الأنثروبولوجية الصحية المعاصرة يمكن اقتفاء أثارها في أربعة فروع مختلفة وهي: (مصطفى عوض إبراهيم، هندومة محمد أنور، 2008، ص 18)

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

أولا- الأنثروبولوجية الفيزيقية: كان اهتمام الأنثروبولوجيا الفيزيقية منصبا على موضوعات التغذية، والنمو، والعلاقة بين بنية الجسم والأنواع العديدة من الأمراض، وتأثيرات التطور البشري، ودراسة الوراثة والتركيب السكاني والأصول الفيزيقية للبشر، وتنوع النوع البشري؛ وقد شملت الأنثروبولوجيا الفيزيقية أيضا ما يسمى بالأنثروبولوجيا البيولوجية أو البيولوجيا البشرية والأنثروبومتريا أو قياس النمو والتطور البشري، وكثير من هذه الموضوعات تشترك في دراستها الأنثروبولوجيا الصحية.

ثانيا- الطب الشعبي: ويقصد به الدراسات الأنثروبولوجية للنظم الطبية غير الغربية، والمثال المبكر على ذلك دراسة ريفرز عن الطب والسحر والدين فيها يؤكد ريفرز أنّ النظم الطبية الوطنية هي نظم اجتماعية وأنّ الممارسات الطبية الوطنية هي أفعال رشيدة عندما ينظر إليها في ضوء المعتقدات السائدة عن أسباب المرض.

ثالثا- دراسات الثقافة والشخصية: كان التركيز في هذه الدراسات ينصب على العلاقة بين شخصية البالغ والبيئة الاجتماعية والثقافية التي ظهرت فيها هذه الشخصية؛ وهناك مجموعة من الدراسات الأولى ركزت أيضا على مشكلة العلاقات الشخصية بين الأطباء البيض والمرضى غير البيض.

رابعا- الصحة العامة العالمية: الآن أصبح العاملون في مجال الصحة في المواقع عبر الثقافية يؤمنون بشكل أسرع وأفضل من أولئك الذين يعملون داخل ثقافتهم بأن الصحة والمرض هي ظواهر اجتماعية وثقافية كما هي ظواهر بيولوجية.

مما سبق نلاحظ أنّ فوستر وأندرسون قد تمسكا بالمنظور الايكولوجي في فترة مبكرة عندما أشارا إلى أنّ هناك اهتماما لدى الأنثروبولوجيين الطبيين بالمشكلات البيئية البيوثقافية التي يمكن أن تدرس بشكل أفضل من وجهة النظر الايكولوجية؛ وبالإضافة إلى ذلك فإنهما يشيران إلى تزايد اهتمام الأنثروبولوجيين منذ الحرب العالمية الثانية بالدراسات عبر الثقافية للنظم الطبية والعوامل البيوايكولوجية والسوسيوثقافية التي تؤثر في حدوث الصحة والمرض (مصطفى عوض إبراهيم، هندومة محمد أنور، 2008، 21).

5- مناهج الأنثروبولوجية الصحية:

ترى مرجريت لوك أنّ نقطة الانطلاق للبحوث في هذا المجال هي الجسم البشري سواء في صحته أو في اعتلاله، وهي تتضمن الدراسات التاريخية والثقافية المتقاطعة والمقارنة، وتمثل كل الاهتمامات التي تتعلق

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

بالجسد وأيضا بالمحاولات العالمية لشرح وتفسير وتصنيف، وشفاء الصحة العليلة وتأثير الشيخوخة على الصحة(Sue.E، 1997، ص6)

يستخدم علماء الأنثروبولوجيا الصحية المناهج الاثنوغرافية التي تتطلب قضاء فترة طويلة من الوقت للمعايشة مع جماعات صغيرة نسبيا من الشعوب لملاحظتهم وتسجيل حياتهم لكي يفهمونهم ويفسرونهم، وقد استخدم هذا المدخل في دراسة الشعوب في المجتمعات الصناعية بما فيها هؤلاء الذين يقدمون الرعاية الصحية والذين يستقبلونها، ويرون أنه من الضروري الحصول على تفسير لسلوك المرء في الحياة اليومية للشعوب إذ أنّ المعتقدات والسلوكيات تكون سلسلة متصلة من الحلقات الدائرية كل منها تؤدي إلى الأخرى، وهذا المنهج يستخدم أيضا في الطب الشعبي.

وينظر بير توبيلتو إلى الأنثروبولوجيا الطبية على أنها أحد فروع العلوم التطبيقية، وهي تعنى بوصف الكيفية التي تشرح بها مختلف الشعوب غير الغربية المرض، وكيفية فهمه وأسلوب العلاج الذي تلجأ إليه، والبحوث التي أجريت في فترة السبعينات والثمانينات من هذا القرن (القرن العشرين) تركز على القضايا العلمية الخاصة بتحسين الصحة والرعاية الصحية سواء في الغرب أو غير الغرب.

تمثل المشاكل الصحية في أرجاء العالم قطاعا من البحوث التطبيقية مما يتطلب الاستعانة ببعض العلوم الأخرى مثل العلوم البيولوجية والممارسات الطبية الإكلينيكية، والعلوم السلوكية الاجتماعية، كما يتم الاستعانة بعلم الحشرات، فهو يلعب دورا كبيرا في فهم بعض الأمراض التي تنتقل عن طريق الحشرات مثل الملاريا والتفوئيد والحمى الدنكية (أبو الركب)، أو علم الاقتصاد والعلوم السياسية فيما يتعلق بنظم الرعاية الصحية.

ويمكن فحص الكثير من القضايا بواسطة أحد مناهج الأنثروبولوجية الطبية دون الالتزام المباشر بأي وضع نظري معين، بمعنى أنّ المناهج الأساسية لجمع البيانات هي عينها بغض النظر عن النسق النظري الذي يتبعه الباحث. ويظهر من البحوث الميدانية أنّ جميع علماء الأنثروبولوجيا يستخدمون من الناحية العلمية مزيجا من المقابلات (المنظمة أو غير المنظمة)، والملاحظة المباشرة، ويتم طرح تساؤلات محددة، وتختلف الأهداف التي تهدف إليها الملاحظة بناء على الاهتمامات النظرية غير أنّ عمليات جمع البيانات متماثلة إلى حد بعيد بغض النظر عن الاتجاه النظري.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

أ-منهج علم الباليوباثولوجي (Paleopathologie): الباليوباثولوجي هو أحد فروع الأنثروبولوجيا الطبية، وهو يعنى بدراسة الأمراض والإصابات التي تعرض لها الإنسان والحيوان في المجتمعات القديمة والعصور السالفة. زاد الاهتمام بهذا العلم منذ الخمسينات وأصبح قائما على عاتق من يعملون بالأنثروبولوجيا الطبية، وحينما تتعرض للطب الشعبي وممارسته فإنها بالضرورة تتعرض إلى الأمراض التي كانت تتفشى في فترة زمنية بعيدة، والممارسات التي لجأ إليها الإنسان لتفاديها أو الحد من خطورتها، ومن أهم الكتابات في علم الباليوباثولوجي كتاب بروثول وأندرسون.

يعتمد المنهج في كشفه عن الأمراض القديمة على عدة مصادر أساسية وهي العظام والموميات والمخلفات والبقايا المتحجرة والأعمال الفنية والبرديات.

ب-المنهج الشمولي في الأنثروبولوجيا: قد يختلف علماء الأنثروبولوجيا الطبية في مناهجهم النظرية إلا أنهم يفكرون في المتغيرات نفسها التي يبحثونها سواء بطريقة ضمنية أو صريحة، فالأساليب المنهجية الأساسية واحدة لجمع البيانات التي ترتبط باختيار الشعوب لبدائل الرعاية الصحية الحديثة وذلك عن طريق الملاحظة المباشرة أو إجراء المقابلات. ويرتكز علم الأنثروبولوجيا الطبية على المنهج الشمولي، فعند دراسة أي ظاهرة تتدخل كثير من العوامل المتشابكة، ولذلك يقومون بجمع كثير من البيانات التي تتعلق بجوانب كثيرة من النظم والعلاقات الاجتماعية، وأنساق المعتقدات الثقافية، حتى وإن كان التركيز على موضوع صحي معين، ويؤثر المنظور الشمولي على خطة البحث التي تعتمد على عدد كبير من المتغيرات، والتي يتطلب بالتالي إجراءات إحصائية معقدة نوعا ما ووقتا أطول لكل مريض ولكل مرض ولكل حالة، مما يحدو بالباحث إلى تقليل وتحديد حجم عيناته بشكل ملموس، بالمقارنة بما يقوم به علماء الوبائيات وعلماء الاجتماع (ابتسام علام، 2001، ص 25).

6- **الصحة والمرض مواضيع دراسة للأنثروبولوجيا الصحية:**

أ- الصحة ومفاهيمها:

❖ المفهوم الاجتماعي للصحة: ارتبط مفهوم الصحة بالمرض منذ القدم فعدم مرض الإنسان وظهور علامات المرض عليه من جميع النواحي الفيزيولوجية والعضوية، والعقلية والاجتماعية يعني أنّ الإنسان يتمتع بقدر متفاوت ونسبي من الصحة.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

وقد بدأ الاهتمام بقضايا الصحة بعد ظهور الأمراض العضوية منها والاجتماعية والتي فرضت على الإنسان الاتجاه إلى الصحة سواء وقائيا أو علاجيا لأنّه أصبح بحاجة إلى الصحة للابتعاد عن شبح المرض والموت لأنّ الحاجة أم الاختراع وشعور الإنسان بالصحة يجب أن يكون في جميع ما يتعلق بالإنسان من قضايا مباشرة ومنظورة أو قضايا خفية غير منظورة وباكتمال جميع النواحي الجسمية أو الجسدية، العقلية أو الفكرية، الفيزيولوجية والنفسية الاجتماعية والسوسيولوجية (قدري الشيخ علي، 2009، ص 69). لذا فقد مرّ هذا المفهوم بعدّة مراحل وعدّة حضارات، وربط في كل فترة بمعنى معين ففي الحضارة الإغريقية نجد أن مفهوم الصحة لديهم يتجه أساسا نحو الصحة الشخصية بمعنى تقوية صحة الفرد عن طريق الاهتمام بنظافته وتغذيته وغيرها من الأمور وقد كان لهم آلهة خاصة بالصحة تدعى "هيجية hygia " ومنه اشتقت كلمة (hygiene) والتي تعني الصحة.

وفي العهد الروماني فقد كان مفهوم الصحة يمثل مفهوم البيئة النظيفة ولهذا سميت الصحة في هذا العصر، صحة البيئة التي تشمل نظافة المسكن ومكان العمل ونظافة الأغذية وتنقية المياه، ولا تزال بقايا بعض هذه العمليات موجودة إلى الآن في المدن الايطالية، كما لم يجهل العرب أهمية حفظ الصحة خاصة المسلمون منهم مطبقين ما أمرهم به الله تعالى، وذلك من خلال القرآن الكريم الذي نصّ على الحفاظ على الصحة بالتخلي عن شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وفي الوقت الحالي أصبح مفهوم الصحة أكثر شمولية مما كان عليه سابقا (سعاد شايب، 2007، ص29) ليجد له عدّة تعاريف طبية علمية وثقافية واجتماعية.

❖ النظرة الطبية العلمية للصحة: تسمح بالنظر إلى الجسم ككل أو إلى عضو من الأعضاء أو جهاز من أجهزة الجسم على أنه في حالة صحية طبية إذا كان يؤدي وظائفه بفعالية مشبعا للحاجات ومستجيبا لمتطلبات وحاجيات البيئة سواء في ذلك الاحتياجات الداخلية أو الخارجية ومؤديا دوره في النمو والتكاثر.

❖ المنظور الثقافي للصحة: يرى هذا المنظور أنّ صحة الناس تعكس الأسلوب الذي يختارونه للحياة فأنواع الأمراض ومعدلات الوفيات وأنواعها في المجتمع تتأثر كثيرا بالقيم المتصلة بتنظيم الأسرة والعمل والترويح (محمد علي محمد وآخرون، 1989، ص 86).

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

❖ النظرة الطبية الاجتماعية للصحة: أخذت الصحة عدّة مفاهيم من قبل عدّة باحثين فيرى بركنز "Perkins" أنها "حالة التوازن النسبي لوظائف الجسم وأنّ حالة التوازن هذه تنتج من تكيف الجسم مع العوامل الضارة التي يتعرض لها وأنّ تكيف الجسم عملية ايجابية تقوم بها قوى الجسم للمحافظة على توازنه."(إبراهيم عبد الهادي المليجي، 1997، ص 84) كما تعرف الصحة في الجنس البشري بمدى التواصل الفيزيقي والوجداني والعقلي للشخص وقدرته الاجتماعية في مواجهة بيئته وهو تعريف يتسم بوجود نقاط عديدة من الضعف، كما تعرف الصحة السيّئة بوجود المرض فيمكن أن تعرف الصحة الجيّدة بغيابه. (نجلاء عاطف خليل، 2006، ص27)

أمّا تعريف منظمة الصحة العالمية (O.M.S) سنة 1948 والذي يعدّ الأكثر قبولا فقد نصّ على أنّ الصحة هي "حالة التكامل الجمالي والعقلي والاجتماعي للفرد وليس مجرد الخلو من المرض والعاهات" (محمد صفوح الأخرس، 2001، ص110) كما كان سائدا لفترة طويلة، فمن خلال هذا التعريف يتضح أنّ الصحة ليست مجرد الخلو من مرض أو عاهة، بل هي تتعدّى ذلك إلى ما تتضمنه من أبعاد مترابطة.

❖ الأبعاد الرئيسية للصحة هي: (الدوبي عبد السلام بشير، 2005، ص54)

- ✓ البعد الجسمي "العضوي" للصحة.
- ✓ الصحة العقلية والنفسية.
- ✓ الصحة في بعدها الاجتماعي.

ممّا سبق يمكن القول أنّ مفهوم الصحة لا يقتصر على التكامل البدني فقط ولكن يشمل الجانب النفسي والاجتماعي، كما يمكن القول أنّ تعريف منظمة الصحة العالمية يتصف بالشمول والايجابية حيث أنّ عقل الفرد وبدنه ومجتمعه الذي يعيش فيه يكوّنون وحدة متكاملة يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به، فكثير من الأمراض البدنية تسببها بعض المشاكل والاضطرابات النفسية، كما أنّ الأمراض بشكل عام واعتلال الصحة بشكل خاص تمنع الفرد من الكسب وتؤثر في سعادته وفي استقراره النفسي (صديقي فاطنة، 2011، ص49).

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

ب-المرض ومفاهيمه:

يعدّ موضوع المرض من الموضوعات الهامة التي تشغل اهتمام العديد من الباحثين في علم الاجتماع الطبي وعلم الأنثروبولوجيا وبوجه خاص أنثروبولوجيا المرض والأنثربولوجيا الطبية، فتميل هذه الأخيرة إلى التأكيد على الجوانب الاجتماعية والرمزية للمرض والعلاج بينما اتجهت أنثروبولجيا المرض إلى التركيز على الأبعاد المعرفية والرمزية والمعاني والآثار الاجتماعية للمرض (شارلوت سيور، سميث، 1998، ص 148) بينت بعض الأبحاث تأثير العناصر الثقافية والاجتماعية على الأمراض على اعتبار مفهومي الصحة والمرض يرتبطان بالنواحي الثقافية والاجتماعية كارتباطهما بالنواحي البيولوجية وهذا يعني أنّ للمرض بعدا طبيا والأخر ثقافيا (سماح محمد لطفي، 2007، ص 45). ولقد أكّدت العديد من الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية على أنّه يوجد تصوران أساسيان للمرض أحدهما مرتبط بالعلم وبالعلوم الطبية على وجه الخصوص Disease، والأخر مرتبط بالثقافة Illness فكل من الصحة والمرض ظواهر ثقافية كما أنّها ظواهر بيولوجية وعليه لبدّ التمييز بين المفهومين وهذا ما سنوضحه في المفهوم البيولوجي للمرض لاحقا.

- المفهوم الثقافي للمرض: يذهب أكركنشت Ackerknecht إلى أنّ علم الطب بالرغم من كونه علما مستقلا إلاّ أنّه يستمد خصائصه المميزة له من الأنماط الثقافية الموجودة في المجتمع، بل انّه يذهب إلى أنّ المعنى أو مفهوم المرض إنما هو مفهوم ثقافي يتنوع من مجتمع لآخر و يعكس وجهة نظر سكان هذا المجتمع ودور المرض في حياتهم (مرفت العشماوي، 1996، ص 252)، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فذكر أنّ المرض وعلاجه على الرغم من أنهما عمليتان بيولوجيتان من الناحية المجردة إلاّ أنّ بعض الحقائق المرتبطة بهما تعتمد على تحديدات المجتمعات والحقائق الاجتماعية أكثر من اعتمادها على الحقائق الموضوعية، وبهذا المعنى نجد أنّ المرض مفهوم ثقافي في المرتبة الأولى ويختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى وهي الفكرة التي أكدها العديد من العلماء من أمثال فوستر Foster الذي ذهب إلى أنّ الصحة والمرض ظواهر ثقافية مثل ما هي ظواهر بيولوجية (Richard W. lieban، 1971، ص 14).أمّا ليتون Leighton فقد ذهب إلى أنّ مفهوم المرض مفهوم نسبي يختلف من ثقافة لأخرى ففي نطاق المجتمعات التقليدية يرتبط بالثقافة وبالنسق الثقافي السائد بينما نجد أنّ مفهوم المرض يرتبط بالعلم في نطاق المجتمعات الحديثة (Dorothea C.Leighton، 1977، ص 104). كما يشير ريس

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

Risse إلى أنّ الصحة والمرض مفهومان مرتبطان بموضوعات مثل القيم الثقافية والدينية والبناء الاجتماعي والمعرفية والبيولوجيا وخاصة في نطاق المجتمعات المحلية والتقليدية (Guemter B.Risse، ب ت، ص579).

في كثير من المجتمعات التي لا تعرف الكتابة، لا يوجد المفهوم العام والمجرد للمرض بشكل واضح، لكونه مذابا في فئات أوسع للألم والبؤس والفوضى؛ وحتى عندما يكون وجود هذه الفكرة مثبتا فكثيرا ما يتم اللجوء إلى التأويلات التي تضمّ المرض إلى الأحداث المشئومة التي تصيب العلاقات الاجتماعية. وكما أنّ المرض هو أحد أشكال البؤس، فكذلك الصحة هي مظهر للنظام المنسجم الذي يدير العلاقات المكانية والزمانية للفرد مع العالم ومع الآخرين.

مثلما الولادة والموت، المرض هو قبل كل شيء حدث اجتماعي يفرضه الظرف البيولوجي للإنسان، إلا أنّ المرض هو، على خلاف الولادة والموت، حدث متقلب ومتكرر على مدى الحياة نفسها مثل الموت المفجع، يصيب المرض عموما بطريقة تظهر كأنها مباغتة واصطفائية، وهاتان الصفتان تستوجبان إضاءة لا يمكن أن تنحصر في الآلية المرضية وحدها.

إنّ المرض هو حدث يملك خصوصية تجهيز شحنة عاطفية كبيرة واستنهاض عمليات اجتماعية غالبا ما تكون معقدة من حيث تأصله في الجسم المتوجع ولأنّه يهدد سلامة وبقاء الفرد كما الهيئة الاجتماعية في مجتمع معيّن، تشكل مراحل المرض، من حيث تواترها، فرصة مميزة للتواصل والتفاعل، وغالبا التعبئة الاقتصادية (بيار بونت، مشال إيزار، 2006، ص 839).

نجد أنّ السياق الثقافي يلعب دورا هاما في تحديد الحالات والظروف التي نتعرف عليها وندركها كأمراض، وتعبر مفاهيم المرض عن اتجاهات عديدة في الثقافات المختلفة فمنها ما يعبر عن الوصف العام للمرض ومظاهره وأعراضه وتصنيفه وأسبابه والأحكام الأخلاقية للمرض، فهذا الأخير إذن ظاهرة من صنع المجتمع وسيظلّ دائما كذلك علاوة على رسوخ حقيقة الخلفية الثقافية وراء المرض (علي محمد المكاوي، 1996، ص61).

❖ المفهوم الاجتماعي للمرض: من المنظور الاجتماعي مفهوم المرض يتمثل في أنّه انحراف سواء كان فيزيقيا أو نفسيا أو اجتماعيا عن الأداء الوظيفي السليم والسوي وقد يكون لهذا الانحراف نتائج غير

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

مرغوبة حيث يتسبب إزعاج للشخص المريض من ناحية وقد يخلق مشكلات اجتماعية للأفراد والمجتمع ككلّ. أكّد الاثنوغرافيين الذين كتبوا عن المرض على النواحي الاجتماعية والرمزية لهذا الأخير، فلقد ركز يونج Young على الخاصيات أو التفاصيل الاجتماعية والتجريبية للمرض والشفاء كأطوار، ما يطلق عليه بشبكة دلالات المرض التي عرفها تشبكسي من الكلمات والمواقف والأعراض والمشاعر المصاحبة للمرض وتعطيه معنى المعاناة. المرض ليس مجرد اضطراب بيولوجي لنظام الفرد ككائن حي ولكن يمثل أزمة اجتماعية وفترة لإعادة التوافق أو التنظيم للجماعة ككل.

إنّ الإطار الاجتماعي والثقافي هو في حقيقة الأمر انعكاس صادق لمعرفة كيف يعيش الناس وماذا يأكلون وما هي معتقداتهم وقيمهم وأنّ فهمنا للصحة والمرض لن يكتمل إلاّ بعد إدراجها في السياق الاجتماعي ليضفي عليهما الصبغة الاجتماعية (مصطفى عوض إبراهيم، هندومة محمد أنور، 2008، ص49).

- المفهوم البيولوجي للمرض: للمرض معاني بيولوجية منها أنّه فقدان للإحساس الجسمي والعقلي العادي، وذلك على حدّ تعبير باتريك Patric وسكامبلر Scambler ونظر إليه أوبري Aubrey على أنّه حالة تكيف الجسم مع الظروف الداخلية والخارجية القاسية وغير العادية، كما عرفه سنو Snow أنّه يحدث من قصور عضو أو أكثر من أعضاء الجسم في أداء وظائفه.

أماّ بارسونز Parsons فيعتبر المرض خللا وظيفيّا في النسق، فغالبا ما يصاحبه عجز في القدرة على الأداء للأدوار الاجتماعية كما يرى أنّ الإنسان المريض لا يعاني فقط من الاضطراب في حالته البيولوجية وإنما أيضا في تصرفه الاجتماعي وطريقة حياته ولا سيما أدواره الاجتماعية (محمد علي وآخرون، 1984، ص 150) وكما سبق وأن ذكرنا فلبدّ في التعريف البيولوجي للمرض أن نفرق بين داء المرض بمعنى Disease وحالة المرض بمعنى Illness.

داء المرض: هو مفهوم بيولوجي طبي يشير إلى دراسة المرض كمفهوم بيولوجي مرتبط بالعلوم الطبية، كما أنّه مفهوم باثولوجي خاص بعلم دراسة خصائص أمراض النبات والحيوان، كما يعرف المرض بأنّه تغير الحالة الطبيعية للإنسان، وقد يؤثر المرض على جميع أعضاء الجسم الإنساني أو على عضو واحد فقط وقد يحدث نتيجة أسباب معروفة أو غير معروفة (سماح محمد لطفي،2007، ص45).

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

حالة المرض: هو مفهوم ثقافي يعني أنّ المرض هو انحراف عن الحالة الصحيّة الطبيعية ومع هذا فهو مفهوم يهتم بالمعتقدات الثقافية المتعلقة بالمرض وذلك لأنّ مدى حدوث المرض وتأثيره ظاهرة ثقافية واجتماعية.

وعلى هذا الأساس نجد أنّه بينما يؤكد المفهوم الأوّل على الحالة الفيزيولوجية نجد أنّ المفهوم الثاني واسع المدى يشير إلى إدراك السكان في ثقافة معيّنة لانحراف الحالة الفيزيقية والعقلية للجسم (مصطفى عوض إبراهيم، هندومة محمد أنور، 2008، ص45).

7- الخاتمة:

من خلال هذا العرض الموجز تمّ التعريف بأحد حقول الأنثروبولوجيا وهو الانثروبولوجية الصحية حيث تعرضت إلى أهم مراحل نشأته وتطوره وأبرز تعريفاته، وكذا أهم مجالات اهتمام هذا الفرع الانثروبولوجي وأبرز المناهج المعتمدة فيه، كما تعرضت لثنائية الصحة والمرض كموضوع دراسة في الأنثروبولوجية الصحية.

Conclusion :

Through this brief presentation, one of the fields of anthropology, health anthropology, has been exposed to the most important stages of its development and its most prominent definitions, as well as the most important areas of interest of this branch of anthropology and the most prominent methods adopted therein, and the duality of health and disease as the subject of study in health anthropology.

قائمة المراجع:

1-ابتسام علام ، **الصحة والبيئة:دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية**، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب،جامعة القاهرة،2001.

2-إبراهيم عبد الهادي المليجي، **الممارسة المهنية في المجال الطبي والتأهيلي**، المكتب العلمي،مصر، 1997.

3-بيار بونت، مشال إيزار، ترجمة مصباح الصمد، **معجم الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع مجد بيروت،ط1، لبنان، 2006.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

4-الدوبي عبد السلام بشير، **علم الاجتماع الطبي**، دار الشروق، عمان، 2005.

5-سعاد شايب، **الطبيب في القطاع الصحي العام بين أداء المهنة وظروف العمل**، رسالة ماجستير في علم الاجتماع غير منشورة، الجزائر العاصمة، 2007/2006.

6-سماح محمد لطفي محمد عبد اللطيف، **ثقافة الإعاقة دراسة سوسيوانثروبولوجية على أسر الأطفال المعاقين بمدينة سوهاج**، أطروحة دكتوراه، جامعة جنوب الوادي، مصر، 2007.

7-شارلوت سيور، سميث، **موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية**، ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، إشراف محمد الجوهري، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1998.

8-صديقي فاطنة، **العلاقة العلاجية وفاعلية تمثلاتها دراسة ميدانية لمرض القصور الكلوي بمركز تصفية الدم سحيري كمال بالأغواط**،ماجستير علم اجتماع منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2011.

9-علي محمد المكاوي، **علم الاجتماع الطبي مدخل نظري**، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1996.

10-علي محمد المكاوي، **البيئة والصحة: دراسة في علم الاجتماع الطبي**، دار النصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

11-علي محمد المكاوي، **الأنثروبولوجيا وقضايا الإنسان المعاصر مدخل اجتماعي وثقافي**، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م، ط1، القاهرة، 2007.

12-قدري الشيخ علي، سوسن سمور، ماري حداد، **علم الاجتماع الطبي**، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

13-محمد صفوح الأخرس، **الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات المحلية**، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 2001.

14-محمد على وآخرون، **دراسات في علم الاجتماع الطبي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1984.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

15-مرفت العشماوي، **الأنثروبولوجيا الطبية والطب الشعبي**،كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1996.

16-مصطفى عوض إبراهيم، هندومة محمد أنور، **مقدمة في الأنثروبولوجيا الطبية**، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 2008.

17-نجلاء عاطف خليل، **في علم الاجتماع الطبي ثقافة الصحة والمرض**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،2006.

18-Dorothea C.Leighton, **Medcine Anthropology**, in the Encyclopedia of Biothic,Vol.43, A Division of Macmillan, New York,1977.

19-Ethel Nurge, **Etiology of illness in Guinhangdan**, in David landy (ed), culture, Disease and Healing studies in Medical Anthropology Macmillan publishing. Co.inc, U.S.A. 1977.

20-George Foster,**Medical Anthropology**, John wiely and Sons, New York, 1997.

21-Guemter B.Risse, **Health and disease**, in the encyclopedia of Biothis, Vol.2, A Division of Macmillan publishing, New York.

22-Richard W. lieban, **The field of medical anthropology**, in david Landy (ed) Disease and healing :studied in medical Anthropology, Macmillan publishing Inc, U.S.A-1971.

23-Richard W.Leiban, **The field of Medical Anthropology-** in David landy (ed) Disease and Heading, Studied in Medical Anthropology, Macmillan Publishing, U.S.A, 1977

ISBN :978–9957–67–204–1 – ISSN (**ISSN–L**):**2617–9857**

24–SueE, Estroff, **Illness**, **Disability and Deviance**"**A Cultural perspective of experiences** ", In G.E, 1997.

Sources and references :

1-Ibtissam Allam, Health and Environment: Social and Anthropological Studies, Center for Research and Social Studies, Faculty of Arts, Cairo University, 2001.

2-Ibrahim abdelhadi maliji, Professional Practice in the Medical and Rehabilitation Field, Scientific Office, Egypt, 1997.

3-Pierre Punt, Mishal Eisar, Translation of Mesbah El Samad, Dictionary of Ethnology and Anthropology, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution Majd Beirut, 1, Lebanon, 2006.

4-Al-Duweibi Abdul Salam Bashir, Sociology of Medicine, Dar Al-Shorouq, Amman, 2005.

5-Suad Chaib, Doctor in the Public Health Sector between Profession and Work Conditions, MSc unpublished Sociology, Algiers, 2006/2007.

6-Samah Mohamed Lotfi Mohamed Abdel Latif, Disability Culture Socioanthropological Study on the Families of Disabled Children in Sohag, PhD Thesis, South Valley University, Egypt, 2007.

7-Charlotte Sewer, Smith, Encyclopaedia of Anthropology: Anthropological Concepts and Terminology, Translation: A Group of Sociology Professors, Supervised by Mohamed El Gohary, Cairo, General Authority of Emirati Printing Press, 1998.

8-Siddiqui Fatna, Therapeutic Relationship and the Effectiveness of Its Representations A Field Study of Renal Failure in the Center of Blood Purification Suhairi Kamal Bagwat, MSc, Sociology of Dissertation, Qasidi University, Marabah and Argla, 2011.

9-Ali Mohamed Al-Makkawi, Sociology of Medical Theoretical Entrance, Dar al-Maaref University, Alexandria, 1996.

ISBN :978–9957–67–204–1 – ISSN (**ISSN–L**):**2617–9857**

10-Ali Mohamed Al-Makkawi, Environment and Health: A Study in Medical Sociology, Dar Al-Nasr Publishing and Distribution, Cairo, 2005.

11-Ali Mohammed Al-Makawi, Anthropology and Contemporary Human Issues, Social and Cultural Entrance, International House for Cultural Investments SAE, 1, Cairo, 2007.

12-Qudri Al-Sheikh Ali, Sawsan Samour, Mary Haddad, Medical Sociology, Arab Society Library for Publishing and Distribution, Amman, 2009.

13-Mohammed Safouh Al Akhras, Anthropology and Community Development, Publications of the Ministry of Culture, Syria, 2001.

14-Mohamed Ali et al., Studies in Medical Sociology, Dar Al Maarifa University, Alexandria, 1984.

15-Mervat Ashmawi, Medical Anthropology and Folk Medicine, Faculty of Arts, Alexandria University, 1996.

16-Mustafa Awad Ibrahim, Hindouma Mohamed Anwar, Introduction to Medical Anthropology, Dar Al Maarifa University, 1, Alexandria, 2008.

17-Najla Atef Khalil, Medical Sociology, Health and Illness Culture, The Anglo-Egyptian Library, Cairo, 2006.

18-Dorothea C.Leighton, Medcine Anthropology, in the Encyclopedia of Biothic,Vol.43, A Division of Macmillan, New York,1977.

19-Ethel Nurge, Etiology of illness in Guinhangdan, in David landy (ed), culture, Disease and Healing studies in Medical Anthropology Macmillan publishing, Co.inc,U.S.A.1977.

20-George Foster,Medical Anthropology, John wiely and Sons, New York, 1997.

21- Guemter B.Risse, Health and disease, in the encyclopedia of Biothis, Vol.2, A Division of Macmillan publishing, New York.

ISBN :978–9957–67–204–1 – ISSN (**ISSN–L**):**2617–9857**

22- Richard W. lieban, The field of medical anthropology, in david Landy (ed) Disease and healing :studied in medical Anthropology, Macmillan publishing Inc, U.S.A-1971.
23- Richard W.Leiban, The field of Medical Anthropology- in David landy (ed) Disease and Heading, Studied in Medical Anthropology, Macmillan Publishing, U.S.A, 1977
24- SueE, Estroff, Illness, Disability and Deviance"A Cultural perspective of experiences ", In G.E, 1997.